

اعتقاد

أمير المؤمنين
عمر بن عبد العزيز

رحمه الله (١٠١هـ)

وفيه:

ثلاث رسائل:
رسالتان في إثبات القدر
ورسالة في التمسك بالسُّنة،
وما كان عليه السلف الصالح

التعريف بصاحب العقيدة

الاسم: عمر بن عبد العزيز بن مروان بن أبي العاص بن أُمَيَّة القرشي.

الكنية: أبو حفص.

الشهرة: أمير المؤمنين.

المولد: (٦١هـ).

الوفاة: (١٠١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ.

ثناء العلماء عليه:

قال مجاهد: أتيناه نُعلِّمه فما برحنا حتَّى تعلَّمنا منه.

وقال ميمون بن مهران: ما كانت العلماء عند عمر إلَّا تلامذة.

وقال: كان عمر بن عبد العزيز مُعلِّم العلماء.

وقال علي بن المديني: إذا رأيت الرَّجلَ يُحبُّ عمر بن عبد العزيز ويذكر محاسنه وينشرها؛ فاعلم أن مِن وراءِ ذلك خيرًا إن شاء الله. [سيأتي هذا القول في عقيدته].

قال أحمد بن حنبل: عمر بن عبد العزيز جاء إلى أمر مظلم فأناره، وإلى سنن قد أميتت فأحياها، لم يخف في الله لومة لائم

ولا خاف في الله أحدًا، فأحيا سننًا قد أميتت، وشرع شرائع قد درست رَحِمَهُ اللَّهُ. اهـ. [«السنة» للخلال (٢٣)].

وقد أطلق عليه مالك بن أنس وسفيان بن عُيينة رحمهما الله: أنه إمامٌ.

مصادر الترجمة:

«تهذيب الكمال» (٢١/ ٤٣٢)، و«السير» (٥/ ١١٤).

وانظر ترجمتة مُفصّلة في كتاب: «الآثار الواردة عن عمر بن عبد العزيز في العقيدة» رسالة علمية.

الرسالة الأولى

التمسك بالسُّنة وإثبات القدر

مجمل الرسالة:

هذه الرسالة هي عبارة عن سؤال وجِّه إلى عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ يسأله السائل عن القدر.

فأجابه فيها مبتدأ بالوصية بالتَّمسُّكِ بالسُّنة، ولزوم طريقة السَّلف الأوائل، واتباعِ ما كانوا عليه، وترك مخالفة هديهم وطريقتهم.

ثم أثبت أقدار الله تعالى، وبيَّن عقوبة من أنكر القدر.

مصدر الرسالة:

استخرجت هذه الرسالة من:

١ ـ سنن أبي داود رَحِمَهُ ٱللَّهُ وجعلتها الأصل.

وقد اعتمدت في إثبات النِّص على نشرة: (دار الرِّسالة) رقم الأثر (٤٦١٢)، و(دار المنهاج) رقم الأثر (٤٦١٤).

٢ ـ «الشريعة» للآجُرِّي، واعتمدت على نسخة خطيَّة منها.

وهي نسخة مكتبة نور عثمان بتركيا برقم (١/١١٩٦).

وقد قمت بمقابلتها بنشرة (دار الوطن) أثر رقم (٥٢٩).

ثم قابلتها بما أثبته من سنن أبي داود، ووضعت زيادات «الشريعة» بين معكوفتين [ ].

٣ ـ «في ما جاء في البدع» لابن وضاح (٧٤).

٤ ـ «الإبانة الكبرى» لابن بطة (١٦٤).

وهذه رسالة صحيحة الإسناد إلى أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ.



صورة المخطوط من الشريعة للآجري

❁ قال أبو داود رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه «السُّنن»:

حدثنا ابن كثير قال: أخبرنا سُفيان قال:

كتبَ رَجُلٌ إلى عُمر بن عبدِ العزيزِ يسألُهُ عن القدَرِ.

وحدثنا الرَّبِيعُ بن سُليمان المؤذِّنُ، قال: حدثنا أسدُ بن موسى، قال: حدثنا حماد بن دُلَيْلٍ، قال: سمعتُ سُفيان الثَّوريَّ يُحدِّثنا عن النَّضْرِ.

وحدثنا هنَّادُ بن السَّرِيِّ عن قبيصَةَ، قالا: حدثنا أبو رَجاءٍ عن أَبي الصَّلْتِ ـ وهذا لفظُ حديثِ ابن كثيرٍ ومعناهم ـ قال:

١ ـ كتبَ رجلٌ إلى عُمَرَ بن عبدِ العزِيزِ يسأله عن القدَرِ[(١)].

فكتبَ [إليه:

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله أمير المؤمنين، إلى عدي بن أرطاة]،

أما بعدُ؛ [فإني أحمد إليك الله الذي لا إلٰه إلَّا هو].

٢ ـ [فإني] أُوصِيك بتقوى الله، والاقتصادِ في أمرِهِ، واتباعِ سُنَّةِ رسوله ﷺ، وتركِ ما أحدَثَ المُحدثون بعد مَا جَرَتْ به سُنَّتُهُ وكُفُوا مُؤنَتَه.

(١) قال الآجري رَحِمَهُ اللَّهُ في «الشريعة»: وحدثني أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبد الحميد الواسطي قال: حدثنا أبو موسى بن المثنى قال: حدثنا مؤمل بن إسماعيل قال: حدثنا سفيان الثوري قال: حدثني شيخ ـ قال مؤمل: زعموا أنه أبو رجاء الخراساني ـ أن عدي بن أرطأة كتب إلى عمر بن عبد العزيز أن قبلنا قومًا يقولون: لا قدر. فاكتب إليّ برأيك، واكتب إليَّ بالحكم فيهم.

فعليك بلزومِ السُّنَّةِ؛ فإنَّها لك ـ بإذنِ الله ـ عصمَةٌ.

٣ ـ ثم اعلمْ أنه لم يَبتَدِعِ النَّاسُ بدعَةً إلَّا قد مضى قبلها ما هو دليلٌ عليها، أو عِبرةٌ فيها.

فإنَّ السُّنَّةَ إنَّما سنَّها مَن قد عَلِمَ ما في خِلافِها ـ ولم يقل ابن كثير: من قد علم ـ مِنَ الخطأِ والزَّلَلِ والحُمقِ والتَّعمُّقِ.

فارضَ لنفسك ما رضي به القومُ لأنفسِهم؛

فإنَّهم على عِلمٍ وقفوا، وببصَرٍ نافذٍ كفوا، ولهم على كشفِ الأُمورِ كانوا أقوى، وبفضل ما كانوا فيه أولى.

فإن كان الهُدى ما أنتم عليه؛ لقد سبقتُموهم إليهِ.

ولئِن قلتم: [أمرٌ] إنَّما حدَث بعدهم؛

ما أحدثه [بعدهم] إلَّا مَنِ اتَّبعَ غيرَ سبيلهم، ورَغِبَ بنفسِه عنهم، فإنَّهم [لـ]هم السَّابقون،

فقد تكلَّموا فيه بما يكفي، ووصفوا منه ما يَشفي،

فما دونَهم مِن مَقْصَرٍ، وما فوقهم مِن مَحْسَرٍ،

و[لـ]قد قصَّرَ قومٌ دونهم فجَفَوا،

وَطَمَحَ(١) عنهم أقوامٌ فغلوا،

وإنَّهم بين ذلك لعلى هُدًى مُستقيمٍ.

٤ ـ كتبتَ تَسألُ عن الإقرَارِ بالقدرِ؟

فعلى الخبيرِ ـ بإذنِ الله ـ وقعْتَ؛

---

(١) أي: ارتفعوا وعلوا عنهم. «تاج العروس» (٦/ ٥٨٨).

ما أعلَمُ ما أحدَثَ النَّاسُ مِن مُحدثَةٍ ولا ابتدعوا مِن بدعةٍ هي أبينُ أثرًا ولا أثبَتُ أمرًا مِنَ الإقرارِ بالقدرِ.

[و] لقد كان ذكره في الجاهليَّةِ الجهلاء يتكلَّمون به في كلامِهم وفي شعرِهم يُعَزُّون به أنفُسَهم على ما فاتَهم [عن مَصَائبهم].

ثم [جاء الإسلام ف]لم يَزِده الإسلامُ بعد إلَّا شِدَّةً [وقوَّة].

ولقد ذَكرَه رسولُ الله في غيرِ حديثٍ ولا حديثين [ولا ثلاثة].

وقد سَمِعَه منه المسلمون فتكلَّموا به في حياتِه، وبعد وفاته يقينًا [وتصديقًا] وتسليمًا لربِّهِم، وتضعِيفًا لأنفسهم أن يكون شيءٌ [من الأشياء] لم يُحِط به علمُه، ولم يُحصِه كتابه، ولم يَمض فيهِ قدرُه، وإنَّه لمعَ ذلك لفي مُحكمِ كتابِه: لَمِنهُ اقتبسوه، ومنه تعلَّموه.

٥ ـ ولئِن قلتم: لِمَ أنزَلَ اللهُ آيَة كذا؟ ولِمَ قال كذا؟

لقد قرأوا منه ما قرَأتُم، وعلموا مِن تأويلِهِ ما جهِلتم،

وقالوا بعد ذلِك:

كلُّه بكتابٍ وقدَرٍ، وكُتِبتِ الشَّقاوةُ، وما يُقدَّرْ يكن، وما شاءَ الله كان، وما لم يَشأ لم يكن، ولا نَملِكُ لأنفُسِنا ضرًّا ولا نفعًا، ثم رغبوا بعد ذلك ورهبوا.

[والسَّلام عليكم.

٦ ـ كتبتَ إليَّ تسألني عن الحكم فيهم؟

فمن أتيت به منهم: فأوجعه ضربًا، واستودعه الحبس، فإن تاب مِن رأيه السُّوء؛ وإلَّا فاضرب عنقه].

الرسالة الثانية

إثبات القدر
والرد على غُلاة القدرية نفاة علم الله تعالى

مجمل الرسالة:

هذه الرسالة عبارة عن ردٍّ كتبه عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ إلى من نفى علم الله تعالى وكذَّب بالقدر.

وقد ردَّ عليهم في هذه الرسالة بكتاب الله تعالى، وسُنَّة النبي ﷺ، وآثار السَّلف الصَّالح، وأجاب فيها عن شبههم التي لبَّس عليهم الشَّيطان فيها.

وبيَّن لهم ضلالهم فيما ذهبوا إليه، وكفرهم فيما اعتقدوه من نفي علم الله تعالى وأقداره.

وهذه الرسالة تُبيِّن منزلة عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ ومكانته في السُّنة.

مصدر الرسالة:

استخرجت هذه الرسالة من كتاب «الحلية» (٣٤٦/٥) لأبي نعيم.

وذكرها ـ مختصرة ـ ابن الجوزي في «سيرة عمر بن عبد العزيز» (ص٨٨ ـ ٨٩) فقال: وهذه الرسالة مروية عن عمر بن عبد العزيز في الأول، وجدت أكثر كلماتها لم تضبطها النقلة على الصِّحة، فانتقيت منها كلمات صالحة:

أخبرنا سليمان بن نفيع القرشي عن خلف أبي الفضل القرشي عن كتاب عمر بن عبد العزيز إلى نفرٍ كتبوا بالتكذيب بالقدر: أما بعد..

وقد نشر هذه الرسالة «المعهد الألماني للأبحاث الشرقية» محققًا تحت عنوان «بدايات علم الكلام». عام النشر (١٩٧٧م).

وقد أفدت من هذا البحث في ضبط النص.

ﷺ قال أبو نعيم في «الحلية»:

حدثنا أبو حامد ابن جبلة، ثنا محمد بن إسحاق السَّرَّاج، ثنا أبو الأشعث أحمد بن المقدام، ثنا محمد بن بكر البُرساني، ثنا سليم بن نُفَيع القرشي، عن خلف أبي الفضل القرشي، عن كتاب عمر بن عبد العزيز:

إلى النَّفر الذين كتبوا إليَّ بما لم يكن لهم بحقٍّ في ردِّ كتاب الله تعالى، وتكذيبهم بأقداره النَّافذة في علمه السَّابق الذي لا حدَّ له إلَّا الله، وليس لشيء مخرج منه، وطعنهم في دينِ الله وسُنَّة رسوله القائمة في أُمته:

أما بعد،

١ ـ فإنَّكم كتبتم إليَّ بما كنتم تستترون منه قبل اليوم في ردِّ علمِ الله والخروج منه إلى ما كان رسول الله ﷺ يتخوَّفه على أُمَّته من التكذيب بالقدرِ.

٢ ـ وقد علمتم أن أهل السُّنة كانوا يقولون: الاعتصام بالسُّنةِ نجاة، وسينقص العلمُ نقصًا سريعًا[(١)].

٣ ـ وقول عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ وهو يعظُ النَّاسَ ـ: إنه لا عُذرَ لأحدٍ عند الله بعد البيِّنةِ بضلالةٍ ركبها حسبها هُدًى، ولا في هُدًى تركه

(١) في «سنن» الدارمي (٩٧) قال الزُّهري: كان من مضى من علمائنا يقولون: الاعتصامُ بالسُّنة نجاة، والعلم يُقبض قبضًا سريعًا، فنعش العلمِ ثبات الدين والدنيا وفي ذهاب العلم ذهاب ذلك كُلِّه.
وقوله: (نعش العلم): أي إقامته وتداركه من الهلكة والضياع.
وانظر: اللالكائي (١٥ و١٣٦ و١٣٧).

حَسِبَه ضَلالةً؛ قد تبيَّنتِ الأُمور، وثبتتِ الحُجَّة، وانقطعَ العُذر[1].

فمن رَغِبَ عن أنباء النبوة، وما جاء به الكتاب؛ تقطَّعت من يديه أسباب الهُدى، ولم يجد له عصمة ينجو بها مِن الرَّدى.

٤ ـ وإنَّكم ذكرتم: أنه بلغكم أني أقول: إنَّ الله قد عَلِمَ ما العباد عاملون، وإلى ما هم صائرون.

فأنكرتم ذلك عليَّ! وقلتم: إنه ليسَ يكون ذلك من الله في علمٍ حتى يكون ذلك مِن الخلقِ عَمَلًا!

فكيف ذاك كما قلتم؟ والله تعالى يقول: ﴿إِنَّا كَاشِفُواْ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًاۚ إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ ١٥﴾ [الدخان: ١٥]، يعني: عائدين في الكُفر.

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ٢٨﴾ [الأنعام: ٢٨].

٥ ـ فزعمتم بجهلكم في قول الله تعالى: ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْۚ﴾ [الكهف: ٢٩] أن المشيئة في أيِّ ذلك أحببتم فعلتم من ضلالةٍ أو هُدًى.

والله تعالى يقول: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ٢٩﴾ [التكوير: ٢٩].

فبمشيئة الله لهم شاءوا، ولو لم يشأ لم ينالوا بمشيئتهم من طاعته شيئًا قولًا ولا عملًا؛ لأنَّ الله تعالى لم يُملِّك العبادَ ما بيده، ولم يفوِّض إليهم ما يمنعه من رسله.

(١) رواه ابن شبة في «أخبار المدينة» (٢/ ١٢) والخطيب في «الفقيه والمتفقه» (١/ ٣٨٣) بإسناده عن الأوزاعي أنه بلغه أن عمر رضي الله عنه قال: . . . فذكره.

٦ ـ فقد حرصت الرُّسل على هُدى النَّاسِ جميعًا؛ فما اهتدى منهم إلَّا مَن هداه الله.

ولقد حرص إبليسُ على ضلالتِهم جميعًا؛ فما ضلَّ منهم إلَّا من كان في علمِ الله ضالًا.

٧ ـ وزعمتم بجهلكم أن علم الله تعالى ليس بالذي يضطر العباد إلى ما عملوا مِن معصيته، ولا بالذي صدَّهم عما تركوه من طاعته؛ ولكنه بزعمكم كما علم الله أنهم سيعملون بمعصيته، كذلك علم أنهم سيستطيعون تركها فجعلتم علم الله لغوًا.

٨ ـ تقولون: لو شاء العبدُ لعمل بطاعة الله، وإن كان في علمِ الله أنه غير عاملٍ بها، ولو شاء تركَ معصيته، وإن كان في علمِ الله أنه غير تاركٍ لها.

فأنتم إذا شئتم أصبتموه وكان علمًا، وإذا شئتم رددتموه وكان جهلًا، وإن شئتم أحدثتم مِن أنفسِكم علمًا ليس في علمِ الله وقطعتم به علم الله عنكم.

وهذا ما كان ابن عباس يعدّه للتَّوحيدِ نقضًا[1] وكان يقول: إن الله لم يجعل فضله ورحمته هملًا بغير قَسمٍ منه ولا اختيارٍ، ولم يبعث رسله بإبطالِ ما كان في سابقِ علمِهِ.

فأنتم تقرُّون في العلم بأمرٍ وتنقضونه في آخر، والله تعالى يقول: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

---

(١) يشير إلى ما روي عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: القدر نظام التوحيد، فمن وحَّد الله سبحانه وكذّب بالقدر كان تكذيبه للقدر نقضًا للتوحيد، ومن وحَّد الله وآمن بالقدر كانت العروة الوثقى. «السنة» لعبد الله (٩٠٢)، و«الشريعة» (٤٥٦).

فالخلق صائرون إلى علم الله تعالى ونازِلون عليه، وليس بينه شيء هو كائن حجاب يحجبه عنه، ولا يحول دونه، إنَّه عليم حكيم.

٩ - وقلتم: لو شاء الله لم يفرض[1] بعملٍ بغير ما أخبر الله في كتابه عن قوم ﴿وَلَهُمْ أَعْمَٰلٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَٰمِلُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [المؤمنون: ٦٣].

وأنه قال: ﴿سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٨﴾﴾ [هود: ٤٨].

فأخبر أنهم عاملون قبل أن يعملوا.

وأخبر أنه مُعذِّبهم قبل أن يُخلقوا.

١٠ - وتقولون أنتم: إنَّهم لو شاءوا خرجوا مِن علم الله في عذابه إلى ما لم يعلم مِن رحمتِهِ لهم.

ومن زعم ذلك فقد عادى كتابَ الله بردٍّ.

ولقد سمَّى الله تعالى رجالًا مِن الرُّسل بأسمائهم وأعمالهم في سابقِ علمه فما استطاع آباؤهم لتلك الأسماء تغييرًا، وما استطاع إبليس بما سَبقَ لهم في علمه مِن الفضل تبديلًا، فقال: ﴿وَاذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُوْلِي ٱلْأَيْدِي وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾﴾ [ص: ٤٥ - ٤٦].

فالله أعزُّ في قدرته وأمنع من أن يُملِّك أحدًا إبطال علمه في شيءٍ مِن ذلك فهو المسمّي لهم بوحيه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، أو أن يُشرك في خلقه أحدًا، أو يدخل في رحمته مَن قد أخرجه منها، أو أن يُخرج منها مَن قد أدخله فيها.

---

(١) في النسخة المحققه: (يعذب).

١١ ـ ولقد أعظم بالله الجهل من زعم أن العلم كان بعد الخلق، بل لم يزل الله وحده بكُلِّ شيءٍ عليمًا، وعلى كلِّ شيءٍ شهيدًا قبل أن يخلقَ شيئًا، وبعد ما خلقَ، لم ينقص علمه في بدئهم، ولم يزد بعد أعمالهم، ولا تغير بالجوائح[1] التي قطع بها دابر ظلمهم، ولا يملك إبليس هُدى نفسه، ولا ضلالة غيره.

وقد أردتم بقذف مقالتكم: إبطال علم الله في خلقه وإهمال عبادته.

وكتابُ الله قائم بنقض بدعتكم، وإفراط قذفكم.

١٢ ـ ولقد علمتم أن الله بعث رسوله والنَّاسُ يومئذٍ أهل شركٍ، فمن أرادَ اللهُ له الهدى؛ لم تَحُل ضلالته التي كان فيها دون إرادة الله له.

ومن لم يُرد الله له الهدى؛ تركه في الكفرِ ضالًّا، فكانت ضلالته أولى به من هداه.

١٣ ـ فزعمتم أنَّ الله أثبت في قلوبكم الطَّاعة والمعصية؛ فعملتم بقدرَتِكم بطاعته، وتركتم بقدرتكم معصيته، وأن الله خلوٌ مِن أن يكون يختصُّ أحدًا برحمته، أو يحجز أحدًا عن معصيته.

١٤ ـ وزعمتم أن الشَّيء الذي يُقدَّر إنّما هو عندكم اليسر والرَّخاء والنعمة وأخرجتم منه الأعمال، وأنكرتم أن يكون سبقَ لأحدٍ من الله ضلالة أو هُدى، وأنكم الذين هديتم أنفسكم مِن دون الله، وأنكم الذين حجزتموها عن المعصيةِ بغيرِ قوَّةٍ مِن الله ولا إذن منه.

فمن زعمَ ذلك فقد غلا في القولِ؛ لأنه لو كان شيء لم

(١) في المطبوع من «الحلية»: (بحوائجه) وهو تصحيف. والجوائح: المصائب.

يسبق في علم الله وقدره؛ لكان لله في ملكه شريك يُنفذ مشيئته في الخلق من دون الله.

والله ﷻ يقول: ﴿حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ﴾ وهم له قبل ذلك كارهون ﴿وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ﴾ [الحجرات: ٧] وهم له قبل ذلك مُحبُّون.

وما كانوا على شيءٍ من ذلك لأنفسهم بقادرين.

ثم أخبرنا بما سبق لمحمد ﷺ من الصَّلاةِ عليه، والمغفرة له ولأصحابه؛ فقال تعالى: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩].

وقال تعالى: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ٢].

فكرمًا غفرها الله له قبل أن يعملها، ثم أخبرنا بما هم عاملون قبل أن يعملوا، وقال: ﴿تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا﴾ [الفتح: ٢٩] فضلًا سبق لهم من الله قبل أن يخلقوا، ورضوانًا عنهم قبل أن يؤمنوا.

١٥ ـ وتقولون أنتم: إنَّهم قد كانوا مُلِّكوا ردّ ما أخبر الله عنهم أنهم عاملون، وأن إليهم أن يقيموا على كفرهم مع قوله، فيكون الذي أرادوا لأنفسهم من الكفر مفعولًا، ولا يكون لوحي الله فيما اختار تصديقًا.

بل لله الحُجَّة البالغة، وهي في قوله تعالى: ﴿لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾﴾ [الأنفال: ٦٨].

فسبق لهم العفو من الله فيما أخذوا قبل أن يؤذن لهم.

وقلتم: لو شاءوا خرجوا من علم الله في عفوه عنهم إلى ما لم يعلم من تركهم لما أخذوا، فمن زعم ذلك فقد غلا وكذب.

ولقد ذكر بشرًا كثيرًا وهم يومئذٍ في أصلاب الرِّجال وأرحام النِّساء

فقال: ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٣﴾ [الجمعة: ٣].

قال: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [الحشر: ١٠].

فسبقت لهم الرَّحمة مِن الله قبل أن يُخلقوا، والدُّعاء لهم بالمغفرة ممن لم يسبقهم بالإيمان من قبل أن يدعوا [لهم].

١٦ ـ ولقد علم العالمون بالله أن الله لا يشاء أمرًا فتحول مشيئة غيره دون بلاغ ما شاء.

ولقد شاء لقومٍ الهدى؛ فلم يُضلَّهم أحد.

وشاء إبليس لقومٍ الضَّلالة؛ فاهتدوا.

وقال لموسى وأخيه: ﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ۝٤٣ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ۝٤٤﴾ [طه: ٤٣ ـ ٤٤].

وموسى في سابق علمه أنه يكون لفرعون عدوًّا وحزنًا، فقال تعالى: ﴿وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ۝٦﴾ [القصص: ٦].

فتقولون أنتم: لو شاء فرعون كان لموسى وليًّا وناصرًا.

والله تعالى يقول: ﴿لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ [القصص: ٨].

وقلتم: لو شاء فرعون لامتنع من الغرقِ.

والله تعالى يقول: ﴿إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ ۝٢٤﴾ [الدخان: ٢٤]، فثبت ذلك عنده في وحيه في ذكر الأولين.

كما قال في سابق علمه لآدم قبل أن يخلقه: ﴿إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠]، فصار إلى ذلك بالمعصية التي ابتُليَ بها.

وكما كان إبليس في سابق علمه أنه سيكون مذمومًا مدحورًا، وصار إلى ذلك بما ابتلى به من السُّجود لآدم فأبى، فتلقَّى آدم التوبة فَرُحِمَ، وتلقَّى إبليس اللعنة فغوى، ثم أُهبط آدم إلى ما خُلِقَ له من الأرض مرحومًا متوبًا عليه، وأُهبِطَ إبليس بنظرته مذمومًا مدحورًا مسخوطًا عليه.

١٧ ـ وقلتم أنتم: إن إبليس وأولياءه من الجنِّ قد كانوا ملكوا ردَّ علم الله والخروج من قسمه الذي أقسم به إذ قال: ﴿قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [ص] حتى لا ينفذ له علم إلَّا بعد مشيئتهم، فماذا تريدون بهلكة أنفسكم في ردِّ علم الله؟

فإن الله ﷻ لم يُشهدكم خلق أنفسكم، فكيف يحيط جهلكم بعلمه؟!

وعِلمُ الله ليس بمُقصِّر عن شيء هو كائن، ولا يسبق علمه في شيء فيقدر أحد على رَدِّه، فلو كنتم تنتقلون في كلِّ ساعة من شيء إلى شيء هو كائن لكانت مواقعكم عنده.

ولقد علمت الملائكة قبل خلقِ آدم ما هو كائن من العباد في الأرض من الفساد وسفك الدِّماء فيها، وما كان لهم في الغيب من علم فكان في علمِ الله الفساد وسفك الدِّماء، وما قالوه تخرّصًا إلَّا بتعليم العليم الحكيم لهم، فظُنَّ ذلك منهم [وقد] أنطقهم به.

١٨ ـ فأنكرتم أن الله أزاغ قومًا قبل أن يزيغوا، وأضلَّ قومًا قبل أن يضلوا.

وهذا مما لا يشكّ فيه المؤمنون بالله أن الله قد عرف قبل أن يخلق العباد مؤمنهم من كافرهم، وبرّهم من فاجرهم، وكيف يستطيع

عبد هو عند الله مؤمن أن يكون كافرًا، أو هو عند الله كافر أن يكون مؤمنًا، والله تعالى يقول: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام: ١٢٢].

فهو في الضَّلالةِ ليس بخارجٍ منها أبدًا إلَّا بإذن الله.

ثم آخرون اتخذوا من بعد الهدى عجلًا جسدًا؛ فضلوا به؛ فعفى عنهم لعلهم يشكرون، فصاروا من ﴿قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾﴾ [الأعراف: ١٥٩]، وصاروا إلى ما سبق لهم.

ثم ضلَّت ثمود بعد الهدى، فلم يعف عنهم، ولم يُرحموا، فصاروا في علمه إلى صيحةٍ واحدة فإذا هم خامدون، فنفذوا إلى ما سبق لهم؛ لأن صالحًا رسولهم، وأن النَّاقة فتنة لهم، وأنه مميتهم كُفَّارًا فعقروها.

وكان إبليس فيما كانت فيه الملائكة من التَّسبيحِ والعبادة فابتلي فعصى فلم يُرحَم، وابتلي آدم فعصى فرُحِمَ.

وهَمّ آدم بالخطيئةِ فنسي، وهَمَّ يوسف بالخطيئة فعُصِمَ.

فأين كانت الاستطاعة عند ذلك؟ هل كانت تُغني شيئًا فيما كان من ذلك حتَّى لا يكون، أو تُغني فيما لم يكن حتَّى يكون؟ فنعرف لكم بذلك حُجَّة، بل الله أعزُّ مما تصفون وأقدر.

١٩ ـ وأنكرتم أن يكون سبق لأحدٍ من الله ضلالةٌ أو هُدًى، وإنَّما علمه بزعمكم حافظ، وأن المشيئة في الأعمالِ إليكم؛ إن شئتم أحببتم الإيمان؛ فكنتم مِن أهل الجنَّةِ.

٢٠ ـ ثم جعلتم بجهلكم حديث رسول الله ﷺ الذي جاء به أهل السُّنةِ وهو مُصدِّقٌ للكتاب المنزل أنه عن ذنبٍ مُضاهٍ ذنبًا خبيثًا

في قول النبي ﷺ حين سأله عُمر: أرأيتَ ما نعمل، أشيءٌ قد فُرِغَ منه؟ أم شيء نأتنفه؟

فقال ﷺ: «بل شيءٌ قد فُرِغَ منه»(١).

فطعنتم بالتَّكذيب له، ونفرتم من الله في علمه إذ قلتم: إن كنا لا نستطيع الخروج منه فهو الجبر، والجبر عندكم: الحيف، فسميتم نفاذَ علم الله في الخلقِ: حيفًا(٢).

٢١ ـ وقد جاء الخبر: أن الله خلقَ آدم؛ فنثر ذريَّته في يده، فكتب أهل الجنَّة وما هم عاملون، وكتبَ أهل النَّار وما هم عاملون(٣).

وقال سهل بن حُنيفٍ يومَ صِفين: أيها النَّاس اتهموا رأيكم على دينكم، فو الذي نفسي بيده لقد رأيتُنا يوم أبي جندل ولو نستطيع ردّ أمر رسول الله ﷺ لرددناه، والله ما وضعنا سيوفنا على عواتقنا إلَّا أسهل بنا على أمر نعرفه قبل أمركم هذا(٤).

٢٢ ـ ثم أنتم بجهلكم قد أظهرتم دعوة حقٍّ على تأويل باطل؛ تدعون النَّاس إلى ردِّ علم الله فقلتم: الحسنةُ مِن الله، والسَّيئةُ مِن أنفسنا.

وقال أئمَّتُكم ـ وهم أهل السُّنةِ ـ: الحسنةُ من الله في قدرٍ قد سبقَ، والسَّيئةُ مِن أنفسنا في علمٍ قد سَبَق.

---

(١) رواه أحمد (٥١٤٠)، والترمذي (٢١٣٥) وقال: وفي الباب عن علي وحذيفة بن أسيد وأنس وعمران بن حصين وهذا حديث حسن صحيح. اهـ.

(٢) أي: ظلمًا.

(٣) روي من قول عمر ﷺ في قصته مع جاثليق النصارى. وقد خرجتها في تحقيقي لكتاب «السُّنة» لعبد الله بن أحمد (٩٠٦).

(٤) رواه البخاري (٣١٨٢ و٤١٨٩ و٤٨٤٤)، ومسلم (١٧٨٥).

فقلتم: لا يكون ذلك حتَّى يكون بدؤها مِن أنفسنا كما بدء السَّيئة مِن أنفسنا.

وهذا ردٌّ للكتابِ منكم ونقضٌ للدِّينِ.

وقد قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا حين نجم القول بالقدر: هذا أولُ شركٍ هذه الأمَّة، والله ما ينتهي بهم سوء رأيهم حتى يخرجوا الله من أن يكون قدَّرَ خيرًا، كما أخرجوه من أن يكون قدَّرَ شرًّا[(١)].

٢٣ ـ فأنتم تزعمون بجهلكم أن من كان في علمِ الله ضالًّا فاهتدى، فهو بما ملك ذلك حتَّى كان في هداه ما لم يكن الله علمه فيه.

وأن من شرح صدره للإسلامِ فهو بما فوَّض إليه قبل أن يشرحه الله له، وأنه إن كان مؤمنًا فكفر فهو مما شاء لنفسه وملك من ذلك لها، وكانت مشيئته في كفره أنفذ من مشيئة الله في إيمانه، بل أشهد أنه من عمل حسنة فبغير معونة كانت من نفسه عليها، وأن من عمل سيئة فبغير حُجَّة كانت له فيها.

وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء، وأن لو أراد الله أن يهدي النَّاس جميعًا لنفذ أمره فيمن ضلَّ حتَّى يكون مهتديًا.

فقلتم: بمشيئته شاء لكم تفويض الحسنات إليكم وتفويض السَّيئات، ألقى عنكم سابق علمه في أعمالكم، وجعل مشيئته تبعًا لمشيئتكم.

ويحكم! فوالله ما أمضى لبني إسرائيل مشيئتهم حين أبوا أن

---

(١) رواه أحمد (٣٠٥٤)، والفريابي في «القدر» (٤١٥)، وابن بطة في «الإبانة الكبرى» (١٥٢١)، واللالكائي (١١١٦ و١٢٩١).

يأخذوا ما آتاهم بقوَّةٍ حتى نتق الجبل فوقهم كأنه ظُلَّة، فهل رأيتموه أمضى مشيئته لمن كان [قبلكم] في ضلالته حين أراد هُداه حتى صارَ إلى أن أدخله بالسَّيفِ إلى الإسلام كرهًا بموقع علمه بذلك فيه؟

أم هل أمضى لقوم يونس مشيئتهم حين أبوا أن يؤمنوا حتَّى أظلهم العذاب فآمنوا وقبِل منهم، وردَّ على غيرهم الإيمان فلم يقبل منهم؟
وقال تعالى: ﴿فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ﴾ أي: علم الله الذي قد خلا في خلقه، ﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [غافر: ٨٥].

وذلك كان موقفهم عنده أن يهلكوا بغيرِ قبول منهم، بل الهدى والضَّلالة، والكفر والإيمان، والخير والشرُّ بيد الله يهدي من يشاء، ويذر من يشاء في طغيانهم يعمهون.

كذلك قال إبراهيم عليه السلام: ﴿وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾﴾ [إبراهيم: ٣٥].

وقال عليه السَّلام: ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾ [البقرة: ١٢٨] أي: أن الإيمان والإسلام بيدك، وأن عبادةَ مَن عبدَ الأصنام بيدك.

فأنكرتم ذلك وجعلتموه مُلكًا بأيديكم دون مشيئة الله عز وجل.

٢٤ ـ وقلتم في القتل: إنه بغيرِ أجلٍ، وقد سمَّاه الله لكم في كتابِهِ فقال ليحيى: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾﴾ [مريم: ١٥].

فلم يمت يحيى إلَّا بالقتلِ وهو موت كما مات من قتلَ منهم

شهيدًا، أو قتل عمدًا، أو قتل خطأ كمن مات بمرض أو فجأة كلُّ ذلك موت بأجلٍ استوفاه، ورزقٍ استكمله، وأثرٍ بلغه، ومضجعٍ برز إليه ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا﴾ [آل عمران: ١٤٥].

ولا تموت نفسٌ ولها في الدنيا عمر ساعةٍ إلَّا بلغته، ولا موضع قدمٍ إلَّا وطأته، ولا مثقال حبَّةٍ مِن رزقٍ إلَّا استكملته، ولا مضجع حيث كان إلَّا برزت إليه.

يصدق ذلك قول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ﴾ [آل عمران: ١٢]، فأخبر الله سبحانه بعذابهم بالقتل في الدنيا، وفي الآخرة بالنَّار وهم أحياء بمكة.

٢٥ ـ وتقولون أنتم: إنَّهم قد كانوا ملكوا ردَّ علم الله في العذابين اللذين أخبر الله ورسوله أنهما نازلان بهم.

وقال تعالى: ﴿ثَانِيَ عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُۥ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌ﴾ يعني: القتل يوم بدر ﴿وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ۝٩﴾ [الحج: ٩].

فانظروا إلى ما أرداكم فيه رأيكم، وكتابٌ سبق في علمه بشقائكم إن لم يرحمكم.

٢٦ ـ ثم قول رسول الله ﷺ: «**بُني الإسلام على ثلاثةِ أعمال:**

الجهادُ ماضٍ منذ يوم بعث الله رسوله إلى يوم تقوم فيه عصابةٌ مِن المؤمنين يقاتلون الدَّجَّال، لا ينقض ذلك جورُ جائر، ولا عدلٌ من عادلٍ.

والثانية: أهل التوحيد لا تُكفِّروهم بذنب، ولا تشهدوا عليهم بشركٍ، ولا تخرجوهم من الإسلام بعمل.

والثالثة: المقاديرُ كُلها خيرُها وشرُّها مِن قدرِ الله»(١).

فنقضتم مِن الإسلام جهاده.

وجردتم شهادتكم على أُمَّتِكم بالكفرِ وبرئتم منهم ببدعتكم.

وكذبتم بالمقادير كُلّها والآجال والأعمال والأرزاق، فما بقيت في أيديكم خصلة بني الإسلام عليها إلَّا نقضتموها وخرجتم منها.

آخر الرِّسالة.

(١) رواه ابن أبي زمنين في «أصول السنة» (١٤٣) عن الحسن مرسلًا.
ورواه الطبراني في «الأوسط» (٤٧٧٥) من حديث جابر رضي الله عنه مرفوعًا.
قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/١٠٦): فيه إسماعيل بن يحيى التيمي كان يضع الحديث.

الرسالة الثالثة

التمسك بالسنة وما كان عليه السلف الصالح

مجمل الرسالة:

هذه الرسالة وصيَّة من عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ ذكر فيها ما كان عليه النَّاس قبل مبعث النبي ﷺ من الجهل والعمى، ثم بيان ما منَّ الله تعالى عليهم به من النور والعلم بإنزال كتابه وإرسال رسوله ﷺ.

وأمر فيها الناس باتباع ما في الكتاب والسُّنة، والتمسك بهما، وبيَّن منزلة السُّنة من الكتاب.

ونهى فيها عن البدع والأهواء المُضلَّة.

مصدر الرسالة:

استخرجت هذه الرسالة من كتاب «سيرة عمر بن عبد العزيز على ما رواه الإمام مالك بن أنس وأصحابه» (ص٦٥) لأبي محمد عبد الله بن عبد الحكم (٢١٤هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ.

وقد ذكرها كاملة عمر بن محمد الخضر في كتابه «الجامع لسيرة عمر بن عبد العزيز» (١/ ٢٨٤)، وقابلته بها، وما كان منها من زيادات فقد جعلتها بين [ ].

﷫ قال ابن عبد الحكم: لما ولي عمر بن عبد العزيز كتب:

أما بعد؛

١ ـ فإني أوصيكم بتقوى الله، ولزوم كتابه، والاقتداء بسُنَّة نبيه ﷺ وهديه.

فإن الله قد بيَّن لكم ما تأتون وما تتقون، وأعذر إليكم في الوصية، وأخذ عليكم الحُجَّة حين أنزل عليكم كتابه الحفيظ الذي ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ [فصلت].

﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ ۗ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾﴾ [الإسراء].

وقال: ﴿وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [الأعراف].

٢ ـ فأقيموا فرائضه، واتبعوا سُننه، واعملوا بمحكمه، واصبروا أنفسكم عليه، وآمنوا بمتشابهه، فإن الله علَّمكم منه ما علَّمكم، وأولكم يومئذٍ أقل الناس شوكة، وأوهنه قوة، وأشدُّه فُرقة، وأحقره عند من سواهم من النَّاس محقرة، ليس لهم من الله حظّ في الهدى يرجعون به إليه، مع أن الدنيا ومواضع أموالها وعددها وجماعتها ونكايتها في غيرهم، حتى أراد الله إكرامهم بكتابه ونبيِّه؛ بعث إليهم محمدًا ﷺ عبد الله ورسوله بالحق بشيرًا يبشر بالخير الذي لا خير مثله، وينذر الشرَّ الذي لا شرَّ مثله، وأخَّره الله لذلك في القرون، وسمَّاه على لسان من شاء من أنبيائه الذين سبقوا، وأخذ عليهم ميثاق جماعتهم، قال: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ [آل عمران: ٨١].

فأخَّر الله ذلك لمحمد ﷺ حين بعثه رحمة للعالمين ﴿وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ۝٤٦﴾ [الأحزاب: ٤٦].

٣ ـ وأحكم الله في كتابه ما رضي من الأمور؛ فما جعل من ذلك حلالًا فهو حلال إلى يوم القيامة، وما جعل من ذلك حرامًا فهو حرام إلى يوم القيامة.

وعلَّمه سُنته ففهمها، وعمل بها بين ظهري أُمَّته؛ فصلَّى الصَّلوات لوقتها كما أمره الله، وعَلِم مواقيتها التي وقَّتها الله له، فإنَّه قال: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ۝٧٨﴾ [الإسراء: ٧٨]، ودلوك الشمس: ميلها بعد نصف النهار.

فلما نعت الله في هذه الآية وقت صلاة الظهر والعصر والمغرب، ثم قال في آية أخرى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا۟ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَـٰثَ مَرَّٰتٍ ۚ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ ۚ﴾ [النور: ٥٨].

وصلاة العشاء صلاة العتمة، فهذه الصَّلوات قد جمعها [الله في] القرآن، وبينها محمد ﷺ.

٤ ـ ثم فرض رسول الله ﷺ الزَّكاة على أمرِ الله في العين والحرث والماشية، وبيَّن مواضع ذلك فقال: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَـٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱلْعَـٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَـٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ﴾ [التوبة: ٦٠].

حتَّى استقامت سنتها في الأخذ حين تؤخذ، وفي القسمة حين تُقسم، فعمل بها المسلمون في جزيرة العرب حتى علموها أو كل ذي عقل منهم.

٥ ـ ثم غزا رسول الله ﷺ بنفسه غير مرَّةٍ، وأغزى الجيوش والسرايا، يقسم إذا كان حاضرًا، ويأمر من تولَّى أمر جيوشه وسراياه بالذي أمر الله به من قسْم ما أفاء الله عليه وعليهم، فإن الله تبارك وتعالى قال: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾﴾ [الأنفال: ٤١].

٦ ـ ثم أمره الله في الحج بما أمره، فقال: ﴿وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَـٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَـٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَـٰمِ ۖ فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لْيَقْضُوا۟ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾﴾ [الحج: ٢٧ ـ ٢٩].

٧ ـ ثم أفاء الله على رسوله محمد ﷺ أموال قُرًى لم يوجِف عليها خيلًا ولا ركابًا، فقال فيها لتكون سُنة فيما يفتح الله من القُرى بعدها: ﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾﴾ [الحشر: ٦].

وقال: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾﴾ [الحشر: ٧].

ثم سمى في هؤلاء الآيات الذي للمسلمين، فليس لأحد منهم قسم إلَّا وهو في هذه الآيات، فقال: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ۝٨﴾ [الحشر: ٨]. وأهل هذه الآية من خرج من بلاده مهاجرًا إلى المدينة وليس فيهم الأنصار.

ثم قال: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٩﴾ [الحشر: ٩].

وأهل هذه الآية من كان بالمدينة من الأنصار، فإن هجرة رسول الله ﷺ كانت إليهم.

ثم قال في الآية الثالثة وهي التي جمعت حظَّ من بقي من المسلمين بعد هذين الصنفين الأوَّلين في الإسلام وقسم المال: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝١٠﴾ [الحشر: ١٠].

فهم جماعة من بقي من أهل الإسلام، ومن هو داخل فيه [من] بعد الهجرة الأولى حتى تنقضي الدنيا.

٨ ـ ففي الذي علَّمكم الله من كتابه، والذي سَنَّ رسول الله ﷺ من السُّنن التي لم تدع شيئًا مِن دينكم ولا دنياكم؛ نعمة عظيمة، وحق واجب في شكر الله كما هداكم وعلَّمكم ما لم تكونوا تعلمون.

فليس لأحدٍ في كتاب الله، ولا في سنة رسول الله ﷺ أمر ولا رأي إلَّا إنفاذه والمجاهدة عليه.

٩ ـ وأمَّا ما حدث من الأمور التي تبتلى الأئمة بها مما لم يحكمه القرآن ولا سُنَّة النبي ﷺ؛ فإن والي أمر المسلمين وإمام عامتهم لا يُقدم فيها بين يديه، ولا يُقضى فيها دونه، وعلى من دونه رفعُ ذلك إليه، والتسليم لما قضى.

١٠ ـ وقد أحببت في كتابي هذا أن تعرفوا الحال التي كنتم عليها قبل نزول كتاب الله وسُنَّة نبيِّه من الضَّلالة والعمى وضنَك المعيشة، والذي أبدلكم الله [به] من الكرامة والنَّصر والعافية والجماعة، وسلب لكم مما كان في يد غيركم مما لم تكونوا لتسلبوه بقوتكم لو وكلكم إلى أنفسكم، كان قد شرط ذلك للمؤمنين وأعطاهم إيَّاه إذ شرط عليهم شرطه، فقد وفَّاكم الله ما شرط لكم، وهو آخذكم بما اشترط عليكم، قال: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [النور: ٥٥].

فقد أنجز الله لكم وعده، فأنجزوا دين الله في رقابكم أن يكفر كافر بنعمة الله، أو ينسى بلاءه؛ فيجده على الله هينًا، ويطول خلوده فيما لا طاقة له به.

١١ ـ ثم إني أحببت أن يعلم من كان جاهلًا من أمري والذي أنا عليه مما لم أكن أريد به المنطق في يومي هذا، حتى رأيت أن المنطق ببعضه هو أقرب إلى الصَّلاح في عاجل الأمر وآجله للذي قد أفضى إليَّ من الأمر، وأنا أعلم من كتاب الله وسُنَّة نبيِّه عليه السلام وما سلف عليه أمر الأئمة بين يدي علمًا من الله علَّمنيه من لم يكن

له شغل عنه، وقد كان شغلي، والذي كتب الله أن أُبتلى به عاملًا منه بما علمت أو قاصرًا منه على ما قصَّرت، فما كان من خيرٍ علمته فبتعليم الله ودلالته وإلى الله أرغب في بركته، وما كان عندي من غير ذلك من داء الذنوب؛ فأسأل الله العظيم تجاوزه عني بمغفرته.

١٢ ـ فلعمري ما ازددت علمًا بالولاية إلَّا ازددت لها مخافة ومنها وَجَلًا ولها إعظامًا، حتى قدَّر الله لي منها وقدَّر عليَّ ما قدَّر، فأنا أشدُّ ما كنت لها استثقالًا.

١٣ ـ ثم أحسن الله حميد أعواني وعاقبتي وعاقبة من ولَّاني أمره فأصلح أمرهم، وجمع كلمتهم، وبسط عليَّ مِن نعمه وعليهم ما لم يكن دعائي ولا دعاؤهم ليبلغه، عند الله به ثوابي وعنده به جزائي من صلاح عامتهم، وأداء حقوقهم إليهم، والعفو عن ذي الذنب منهم.

١٤ ـ وقد أعطاني من ذلك ـ وله الحمد ـ في عاجل [من] الدنيا، وجماعة من الشمل، وصلاح ذات البين، وسعة في الرِّزق، ونصر على الأعداء، وكفاية حسنة حتى أغنى لأهل كل ذي جانب من المسلمين جانبهم، ووسَّع عليهم الرزق، ولا يرى أهل كل ناحية إلَّا أنهم أفضل قسمًا مما بسط الله لهم من رزقه ونعمه من أهل الناحية الأخرى.

١٥ ـ فإن تعرفوا نعمة الله عليكم وتشكروا فضله فأحرص بي على ذلك وأحبب به إليَّ، قد يعلم الله كيف دعائي بذلك، وكيف حرصي عليه علانية، وإن يجهل ذلك جاهل، أو يقصر عنه رأيه فإن

الذي حرصت عليه أن أحملكم عليه من كتاب الله وسنة نبيه محمد ﷺ هو حجتي في الدنيا، وبغيتي فيما بعد الموت، ولا تلبسوا ذلك بغيره، وإياكم أن يتشبه في أنفسكم ما حملتكم عليه من كتاب الله وسُنَّة نبيِّه.

١٦ ـ وأما ما سوى ذلك من الأمور التي من رأي النَّاس فإني ـ لعمري ـ لولا أن أعمل ذلك فيكم ما ولّيت أمركم، وإن تعملوا به ما نفست الذي أنا فيه من الدنيا عليَّ أبغض الناس رجل واحد إذا حجزه الله على ديني أن يفتنني.

ولا كنت أرى المنزل الذي أتى به لمن عسى أن يعمل بغير كتاب الله وسنة نبيه غبطة ولا كرامة ولا رفعة ولا الدنيا وما فيها.

١٧ ـ فمن كان سائلًا عن الذي في نفسي وعن بغيتي في أمر أمة محمد ﷺ؟

فإن الذي في نفسي وبغيتي منه ـ والحمد لله رب العالمين ـ: أن تتبعوا كتاب الله وسُنَّة نبيِّه، وأن تجتنبوا ما مالت إليه الأهواء والزَّيغ البعيد، ومن عمل بغيرهما فلا كرامة ولا رفعة له في الدنيا والأخرى، وليعلم مَن عسى أن يُذكر له ذلك أن لعمري لأن تموت نفسي أول نفس أحب إليَّ مِن أن أحملهم على غير اتباع كتاب ربهم وسنة نبيهم التي عاش عليها من عاش، وتوفَّاه الله عليها حين توفاه، إلَّا أن يأتي عليَّ من ذلك أمر وأنا حريص على اتباعه، وإن أهون الناس عليَّ تلفًا وحزنًا لمن عسى أن يريد خلاف شيء من تلك السُّنة، وذلك الأمر الذي رفعنا ونحن بمنزلة الوضيعة، وأكرمنا ونحن بمنزلة الهوان، وأعزَّنا ونحن بمنزلة الذُّلِّ، معاذ الله من أن نستبدل بذلك غيره، ومعاذ الله من أن نتقي أحدًا.

١٨ ـ فإذا تكلمتم في مجالسكم، أو ناجى الرجل أخاه فليذكر هذا الأمر الذي حضضتكم عليه من إحياء كتاب الله وسُنَّة نبيه، وترك ما خالف ذلك، فإنه ليس بعد الحق إلَّا الباطل، ولا بعد البصر إلَّا العمى، وليحذر قوم الضَّلالة بعد الهُدى، والعمى بعد البصر، فإنه قال لقوم صالح: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ۝١٧﴾ [فصلت: ١٧].

١٩ ـ اتبعوا ما تؤمرون به، واجتنبوا ما تنهون عنه، ولا يعرِّض أحدكم بنفسه فإنه ليس لي في دنياكم ـ والحمد لله ـ رغبة، لا فيما في يديَّ منها، ولا ما في أيديكم، وليس عندي مع ذلك صبر على انتقاص شيء من كتاب الله وسُنَّة نبيِّه عَلَيْهِ السَّلَامُ، ولا استبقاء لمن خالف، والحمد لله ولا نعمة عين.

٢٠ ـ ولعمري إن من يعمل ذلك منكم لحقيق أن يظن بامرئ لا حاجة له في دنياكم، ولا صبر له على زيغكم عن دينكم، ولجاجتكم فيما لا خير لكم فيه أنه جرأ على هراقة دم من انتقص كتاب الله، أو زاغ عن دينه وسنة نبيه محمد ﷺ.

هذا نحو من الذي قبلي قد بينته لكم، ولعمري لتخلصن جماعتكم أيها الجند وخياركم مما يكره من الأمور، ولتتبعن أحسن ما توعظون به إن شاء الله.

أسأل الله برحمته وسعة فضله؛ أن يزيد المهتدي هدى، وأن يراجع بالمسيء التوبة في عافية منه، وأن يحكم على من أراد خلاف كتابه وسنة نبيه عَلَيْهِ السَّلَامُ بحكم يغلب به في خاصته ويعجِّله له؛ فإنه على ذلك قادر، وأنا إليه فيه راغب، ويحسن عاقبة العامة، ولا يعذبنا بذنب المسيء، والسلام عليكم ورحمة الله.